مع الماعز والبقر

(حمى مالطة أو حمى البحر الأبيض المتوسط أو الحمى المتموجة)

ينتشر فى بعض البلاد نوع من الحمى يشبه التيفود الى حد كبير ولا يميزه عنه سوى حدوث آلام شديدة فى المفاصل وعرق غزير ونكسات عديدة يتعذر معها على الطبيب أن يعرف متى يشفى المريض تماما ويتخلص من مرضه نهائيا .

وهذا المرض طويل الأمد يصل فى المتوسط إلى ثلاثة أشهر وقد يمتد إلى سنة أو أكثر . ولكنه مع ذلك حميد العاقبة قل أن يميت أكثر من اثنين من كل مائة مريض . وقد ظل الأطباء يخلطون بينه وبين الحميات المعوية حتى عام ١٨٨٧ إذ توصل طبيب عسكرى بريطانى يدعى « بروس » (Bruce) الى معرفة سببه ، وفصل جرثومته من طحال المتوفين به فى مالطه ، والمرض أكثر ما يكون انتشارا فى هذه الجزيرة ولو أنه منتشر أيضا — على نطاق أضيق — فى جبل طارق وسائر البلاد الواقعة على شواطىء البحر الأبيض المتوسط وفى جهات أخرى عديدة .

وقد برهن بروس بكل الطرق على أن هذا الميكروب هو المسبب للمرض ولم يدع مجالا للشك في علاقته به ، وهو ميكروب ضئيل جدا بلغ من ضآلته أن أخطأ بروس فى تسميته بالاسم الذى يتفق مع شكله .

ولم يؤد اكتشاف الميكروب الى الاهتداء إلى سبيل مكافحته ؛ فقد بقيت طريقة عدواه غامضة حتى عام ١٩٠٤ حينما أرسلت الحكومة البريطانية بعثة طبية للبحث فى هذه المسألة مدفوعة إلى ذلك بالعامل العلمى من جهة وبكثرة الاصابات بين رجال الأسطول البريطانى وما ترتب على ذلك من الخسائر الفادحة من جهة أخرى ، فهذا المرض وإن كان حميد العاقبة إلا أنه بالنسبة لطول مجراه فيه مضيعة للوقت وتعطيل للأعمال ، وفضلا عن ذلك فقد حدث أثناء حرب القرم أن أرسلت الحكومة البريطانية المرضى والجرحى من جنودها الى مالطه لتمضية دور النقاهة فيها فأصيب عدد كبير منهم بهذه الحمى التى كتب عنها طبيب من أطباء الجيش تقريرا ضافيا وصفها فيه وصفا دقيقا زاده دقة أنه هو نفسه كان قد أصيب بها .

بدأت هذه البعثة عملها وكان المنتظر أن يطول بحثها لولا أن لفت نظرها عضو مالطى من أعضائها يدعى «زامت» الى أنه قدلاحظ أن دم الماعز — دون دم الحيوانات المختلفة التى فحصها — يحوى مواداً مضادة تحدث تجمعا للميكروب الذى اكتشفه بروس . واذا وجدت هذه الظاهرة عند فحص أى مرض من الأمراض فهى فى الغالب تدل على علاقة الميكروب بهذا المرض .

وعلى هذا الأساس اشتبهت البعثة فى أن يكون المرض كامنا فى الماعز وفى أن يكون لهذه الحيوانات شأن فى نقله الى الانسان ، ففحصوا عددا كبيرا منها واتضح لهم أن خمسين فى المائة من ماعز مالطه يعطى نتيجة ايجابية لتجربة التجمع التى أشرنا اليها مما يدل على توطن المرض فى مالطة . واتضح لهم أيضا أن عشرة فى المائة تفرز الجرثومة نفسها فى اللبن مما يدل على أنها اتخذت الماعز مخزنا لها . والواقع أن وجود الجرثومة فى اللبن بهذه النسبة الكبيرة لما يسبب القلق ويستدعى اليقظة خصوصا إذا تذكرنا أن المالطيين يكادون يستعيضون عن لبن البقر بلبن الماعز فالجزيرة صخرة قاحلة

جرداء لا يوجد فيها من المراعي ما يكفى لاطعام حيوانات كبيرة كالبقر . ويشاركها فى هذا الوصف جبل طارق حيث المرض كما ذكرنا منتشر أيضا . ومن أهم ما يلفت نظر الزائر لمالطة كثرة الماعز فيها . وكما يمر الفلاح في مصر ببقرته على زبائنه يوزع لبنها عليهم فكذلك يسير الفلاح المالطى وبصحبته قطيع من الماعز يبيع لبنه لمن يريده .

وقد اشتهرت ماعز مالطة بادرار لبنها وكثرة نسلها حتى أن مؤسسة أمريكية رأت أن تفيد من ذلك فاستوردت من مالطة خمسا وستين رأسا من الماعز قطعت المسافة بين هذه الجزيرة ونيويورك على مرحلتين تفصلهما خمسة أيام قضيت فى أنتورب حيث وُضعت الحيوانات تحت الملاحظة (كارانتينا) ، وكانت المرحلة الأولى على سفينة صغيرة بها اثنا عشر بحارا أصيب ثمانية منهم بحمى مالطه وسلم الأربعة الآخرون إذ تعود اثنان منهم على اللبن قبل شربه ولم يستسغه الاثنان الآخران . أما فى المرحلة الثانية فقد أصيب أربعة وستون بحارا بهذا المرض . وبفحص الحيوانات وجد أن الكثير منها يفرز الميكروبات فى اللبن بعدد كبير ، وقد

استمر المرض منتشرا بينها فأذبلها وقلل نسلها ، وانتهى الأمر بأن قرر أصحابها اعدامها عن آخرها درءا لخطرها .

انتهت البعثة البريطانية من عملها وقدمت تقريرها وخلاصته أن أهم العوامل فى نقل حمى مالطة هو لبن الماعز وأن الكلاب والبغال قد تصاب بهذا المرض أيضا (ولو أن ذلك ليس بذي أهمية فى انتشار المرض) وأن ستة فى المائة من سكان مالطة يفرزون الجرثومة فى البول .

وعلى ضوء هذا التقرير قرر أولو الأمر منع البحارة البريطانيين من استعمال لبن الماعز ومنذ ذلك الحين اختفى المرض من بين رجال الأسطول البريطانى بعد أن كان منتشرا بينهم انتشارا مريعا .

وفى عام ١٨٩٧ اكتشف عالم نرويجى يدعى « بانج » (Bang) جرثومة تحدث الاجهاض في البقر وتسبب للمزارعين متاعب كثيرة وتحملهم خسائر فادحة ، وكان الناس يعتقدون أن ضرر تلك الجرثومة يقتصر على هذه الحيوانات وأنها لا شأن لها بالانسان الا بما تسببه له من الخسائر المادية ، واستمروا على اعتقادهم هذا حتى سنة ١٩١٧

حينما نشرت باحثة تدعى « ايفانز » (Evans) رسالة قصيرة لفتت فيها النظر الى الشبه الكبير بين جرثومة الاجهاض وجرثومة حمى مالطه ، وإذ لاحظ الأطباء أن عددا كبيرا من المرضى الذين لم يتعودوا شرب لبن الماعز قد أصيبوا بحمى لا تختلف في أعراضها عن حمى مالطه بدأ الشك يخامرهم في أن جرثومة الاجهاض قد تسبب أيضا حمى مالطه . وقد برهن فعلا على ذلك طبيب بكتريولوجي يدعى « بيفان » (Bevan) إذ تمكن من فصل هذه الجرثومة من مرضى أصيبوا بحمى مماثلة لحمى مالطه ولم يستعملوا من الألبان سوى لبن البقر . وتوالت التقارير بعد ذلك من جميع أنحاء العالم تؤيد ما ذكره هذا الباحث . وبذلك ثبت أن ميكروب الاجهاض الذى ظل الناس عشرين عاما يعتقدون أنه لا يصيب سوى البقر يصيب الانسان أيضا . والواقع أنه يكاد لا يوجد فرق بينه وبين الميكروب الذى يصيب الماعز ، فكلاهما قادر على احداث الحمى وكلاهما قادر على احداث الاجهاض في الحيوان والانسان وقد يصعب حتى على البكتيريولوجى التمييز بينهما دون الرجوع الى نوع اللبن الذى فصل منه .

ومما زاد الأمر تعقيدا أن هناك جرثومة من نفس هذه الفصيلة تحدث الاجهاض فى الخنازير وقد تصيب الانسان أيضا .

مما ذكرنا يتضح أن الحمى المتموجة بأنواعها المختلفة تنتقل فى الغالب بشرب اللبن الملوث سواء كان لبن الماعز أو لبن البقر كما قد تنقلها أيضا مستحضرات هذه الألبان غير المعقمة ، من جبن وقشطة وخلافها .

وقد تنتقل أيضاً بواسطة اللمس فمن خواص هذه الميكروبات قدرتها على احداث العدوى عن طريق الجلد ولو خلا من التشققات ، ويظهر أن اللمس هو الطريق الوحيد الذى ينتقل به الميكروب من الخنزير إلى الانسان . وأكثر الناس تعرضا للعدوى عن طريق اللمس هم القصابون والأطباء البيطريون والمزارعون والرعاة . وقد حدثت فى مصر بضع اصابات من هذا النوع بين الأطباء البيطريين الذين يقومون بالكشف على اللحوم فى السلخانات .

هذا وقد تنتقل العدوى أيضاً من الذكور إلى الاناث وبالعكس بالطريق الجنسى .

وما يسمى بعدوى المعمل كثير فى هذا المرض ، وتنتقل العدوى عادة إلى البكتريولوجيين ومساعديهم من مزارع الميكروبات التى يشتغلون بها ، فالميكروب كما ذكرنا سريع العدوى قادر على الوصول إلى الجسم عن طريق الجلد ولو كان فى الظاهر سليما . وهو من أخطر الميكروبات على المشتغلين بالمعامل لا يزه فى ذلك سوى ميكروب التيفوس وميكروب السقاوة (وهو يصيب فى الأصل الخيل) والتلاريميا (وهو يصيب فى الأصل القوارض المتوحشة) . ولكل من هذه الجراثيم ضحايا كثيرون من أطباء المعامل . ولم تسلم مصر من هذا النوع من العدوى فقد أصيب بحمى مالطه مثلا بضع أطباء من أطباء المعامل أضطرتهم الحمى إلى ملازمة الفراش شهوراً عديدة كما حدثت بمصر إصابات بالسقاوة كانت بعضها مميتة .

وللوقاية من الحمى المتموجة يجب غلى اللبن أو « بسترته » (أنظر صفحة ٨٧) ، وهذا الأجراء يقضى فى الوقت نفسه على ميكروب السل أو التيفود أو غير ذلك من الميكروبات الخطرة .

بقيت لنا كلمة عن عدوى البقر التى قد تحدث بشكل

وبائى فينتشر المرض فى عدة قرى فى وقت واحد . إن ما يسببه ميكروب الانجهاض من الخسائر المادية دعا ولاة الأمور خصوصاً فى أمريكا إلى الاهتمام بهذه المسألة اهتماماً كبيراً فحاربوا المرض بالعزل واللقاح الواقى والدعاية والتعليم وغير ذلك من الطرق الحـــديثة التى تعتبر الآن أساس الطب الوقائى . وقد ابتكر الأمريكيون طريقة سهلة يستطيع أن يعرف بها المزارعون — دون الالتجاء إلى المعمل — إن كانت حيواناتهم مريضة أو سليمة ، فوزعوا على كل مزارع أنبوبة زجاجية كُتِب خلفها كلمة «معدى» وملئت بمستحلب من الميكروبات الميتة على درجة من الـكثافة تتعذر معها قراءة ما كتب خلف الأنبوبة وافهموه أن يضيف إلى هذا المستحلب نقطة من دم الحيوان المشتبه فيه ثم يترك الأنبوبة بضع ساعات فان تمكن بعـد ذلك من قراءة كلمة معدى فالحيوان معدى والا فهو سليم ؛ وتفسير ذلك أن دم الحيوان المعدى يحوي مواداً مضادة تحـــدث « تجمعاً » فى الميكروبات فترسب إلى قاع الأنبوبة تاركة سائلا رائقا شفافاً تسهل القراءة خلاله .

مما لاشك فيه أن الحمى التموجة منتشرة في مصر ولو أنها إلى عهد قريب أهملت إهمالا كبيراً، ولكن الأطباء تنبهوا إليها أخيراً فأصبحوا حينما يطلبون فحص دم مرضاهم للحميات المعوية يطلبون أيضاً فحصه لحمي مالطه، ومنذ أن اتبعوا هذه الخطة اتضح لهم أن هذا النوع من الحمى ليس بقليل الانتشار في مصر.

obeikandl.com